دور العلماء في تقديم المشورة للسلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧-٥٨٩هـ / ١١٧١-١١٩٣م)

د.أحمد ميرزا ميرزا
كلية الآداب – جامعة صلاح الدين –أربيل–

الملخص

هناك أمثلة عديدة من التاريخ القديم والحديث لرؤساء وقادة، اتخذوا مجموعة صالحةً من المستشارين، ليستفيدوا منهم في الوصول إلى حقيقة أمور البلاد والعباد، الداخلية منها والخارجية وعلى كل المستويات، فتوصلوا بوساطتهم إلى الرأى الصحيح، وعلى أساسها أصدروا قرارات صائبة، فنَعَّم بلادهم بالأستقرار والصلاح والتقدم، وكان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧_٥٨٩هـ/ ١١٧٤_١١٦٠م) أحد القادة الذين يستشير العلماء الثقاة في عصره، وكانت مشورته لهم أحد أهم عوامل أنتصاراته .

وما انتصار صلاح الدين على الغزاة الصليبين، ومن ثم إعادة مصر إلى أحضان الدولة العباسية بعد أن كانت خاضعة للحكم الفاطمي، وغيره الكثير، الا ثمرة من ثمار تلك المشاورات التي كان يجريها مع أولئك المستشارين، ومثال ذلك الاختيار بين هدم مدينة عسقلان في سنة (٥٩٧هـ/١١٨٤م) مخافة احتلالها من قبل الصليبين، واتخاذها قاعدة، يهاجمون منها المسلمين، أم إبقائها، فاستشار مستشاريه ، فكان رأيهم أن يخربوها، ففعله على الرغم من حبه الشديد لتلك المدينة، وكان قرارا صائبا.

من أبرز مستشاريه: عيسى الهكاري، والقاضي الفاضل، والقاضي ضياءالدين الشهرزوري، وغيرهم و كان من أسباب نجاح صلاح الدين على المستوى السياسي والعسكري والاداري، انه لم يتخذ القرارات من نفسه وانما كان له مجالس يستشيرهم، فالمشاورة اهم، ضمانات النجاح للقادة في الماضي والحاضر وكذلك المستقبل.

دور العلماء في تقديم المشورة للسلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧-٥٨٩هـ / ١١٧١-١١٩٣م)

مما هو طبيعي وواضح فان كل رؤساء الدول قديما وحديثا يتخذون لهم بطانة من المستشارين يستفيدون منهم للوصول الى معرفة حقيقة امور البلاد على المستويات

كلها و يتوصلون بوساطتهم الى سداد الراي والى اصدار الأحكام الصحيحة التي توصل البلاد والعباد الى السلام والامان والتقدم.

كذلك فان اهل العلم والصلاح من العلماء والقضاة والفقهاء لهم المكانة الكبيرة لدى شعوبهم، فهم قادة الأمة الحقيقيون، وعليهم يعتمد تقدم المجتمع و صلاحه ولذلك يعتمد عليهم الحكام والسلاطين لأنهم يمثلون واجهة المجتمع، كذلك فان وجودهم في السلطة والى جانب الحكام، دلالة على صلاح الحكم، و صدقه في مسيرته، وهو دليل على قربه من الشرعية، لذلك طمع الحكام لأسباب سياسية و اجتماعية، لجلب العلماء الى جانبهم، والافادة من خبراتهم من اجل سلامة الحكم، و قبول رضاء الشعب، الذي بقي فيه العلماء على مدى التاريخ قادة لهم على المستوى الديني والمعنوي والشعبي.

ومن استقراء مصادر التاريخ، وجدنا الكثير من القادة والرؤساء يتخذون لهم العديد من المستشارين، من العلماء والحكماء والصلحاء من أهل الراي ومن القادة العسكريين والسياسيين، وممن لهم الخبرة، في الأمور الأقتصادية والأدارية والشؤون الدينية التي تخص مصالح شعوبهم.

ولذلك كانت دولهم مستقرة، انعمت بالصلاح والتقدم، وكان منهم القائد صلاح الدين الأيوبي[١] الذي اعتمد في ادارة دولته الأيوبية على العلماء والصلحاء والشيوخ، وكان لآرائهم السديدة تاثيرا على صلاح الدين في اصدار قرارات الحرب والسلم مع عدوهم، حيث كانت دولة صلاح الدين قوية، ونصره مؤزرا، لان احكامه كانت عن مشاوره وقناعة، مستقاة من عميق عقلية مستشاريه، وقدرة صلاح الدين العالية في القيادة والأدارة، حيث عبرت احكامه عن طموحات شعبه في الوحدة والتقدم والنصر .

عاش الناصر صلاح الدين بين عامي(٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٨ ١١٩٣م) ويعود نسبه للاكراد الروادية[٢]، وكان والده اميرا لمدينة بعلبك وقد تربى على فنون القتال والفروسية، وفي سنة (٥٦٠هـ/١١٦٤م) تولى رئاسة شرطة مدينة دمشق، فاظهر السياسة، واحكم الامور فيها، ثم ذهب مع عمه اسد الدين شيركو[٣](سنة (٥٦٤ هـ/١١٦٩م)الى مصر، وهناك حدثت من الامور ما مكنته من السيطرة على الموقف، وتولي قيادة الجيش بعد عمه، ثم استوزره الخليفة، وبعدها بعدة اشهر تمكن صلاح الدين من اسقاط الخلافة الفاطمية، واعاد مصر الى تبعية الخلافة العباسية في بغداد.[٤]

وبعد وفاة السلطان نور الدين محمود زنكي، واضطراب الاحوال في بلاد الشام، تقدم صلاح الدين من مصر الى بلاد الشام، لبناء دولة قوية موحدة بين بلاد الشام والجزيرة، وقد نجح في مسعاه، و تمكن بعدها من تحرير القدس ومعظم ساحل بلاد الشام من ايدي الغزاة الصليبين. وقد قضى صلاح الدين اكثر من نصف عمره على ظهور الخيل يدافع عن بلاد المسلمين ويقاتل الغزاة، ودعاة الاقليمية الضيقة، ومات ولم يترك في خزينته الا سبعة واربعين درهما ودينارا واحدا من الذهب، ولم يخلف ملكا، كما خلف الحكام والملوك في عصره ومن بعده(٥).

وقبل الاشارة الى مشورة السلطان صلاح الدين لعلماء عصره واهمية تلك المشورة في نجاح صلاح الدين، وتقدمه في بناء دولته، لابد من الاشارة بتركيز الى معنى المشورة والاستشارة وما جاء فيها من مأثورات في القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة، وكما هو واضح فان الأستشارة واخذ الراي من اهل العلم و الصلاح، دلالة على عظمة القائد وسعته العقلية، و حبه في ضبط الأمور، و سلامة البلاد ((فالمشورة مادة الراي))(٦). ومن خلال هذه المشورة لأهل الراي، يتم التوصل الى القرار الصحيح الذي يجنب البلاد وساكنيها القتل والخراب(٧). وقد جاء عن الرسول (ﷺ) قوله : (المشورة حصن من الندامة، وامن من الملامة)(٨). وجاء عن علي بن ابي طالب(ﷺ) قوله: ((الأستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برايه))(٩)، وبذلك فاخذ المشورة من العلماء قد تجنب البلاد الخراب وانتهاك الحرمات!!.

والراي الصائب، والمشورة الجيدة، هي حدس لما هو واقع، وهي بمثابة البصيرة والنور الذي يعطي للرئيس والسلطان السعة الفكرية، و يمنحه القوة والحصانة امام شعبه وامام الله تعالى والتاريخ من الوقوع في الآثام وما يخرب البلاد. وقد وجدنا الكثير من الدول القديمة والمعاصرة والتي خربت وزالت معالمها بسبب استبداد حكامها بارائهم وعدم مشورتهم للعلماء في اتخاذ القرارات الصائبة في الاوقات الحرجة، فيكون القرار الخاطيء من السلطان المستبد سببا في تدمير الدولة و نهاية السلطان!!. وبعكسه فالاستعانة بالمشورة تمنح اولي الامر، العزم والقوة في اتخاذ القرارات المهمة(١٠). وفي الدولة الأسلامية، كان الرسول (ﷺ) : على عظم قدره ومكانته والوحي الذي ينزل عليه يشاور اصحابه في كل الأمور، و جاء عنه (ﷺ) :((ما خاب من استشار))(١١) وجاء في قوله تعالى: [وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ](١٢). وكان الخلفاء الراشدون (ﷺ) يستشيرون صحابة رسول

الله (ﷺ)[١٣]،واستمر الأمر في عهد خلفاء بني امية [١٤] وفي العصر العباسي[١٥] وكان صلاح الدين الأيوبي – موضوع بحثنا هذا يستشير علماء عصره – كما سنذكره تباعا– وكانت مشورته للعلماء واهل الراي احد عوامل نصره.

وجدير بالذكر انه يجب استشارة اهل الحكمة والراي السديد ومن ذوي العقول والخبرة و ذوي الأختصاص لتكون استشارتهم مقبولة، فلا يجوز مثلا: استشارة الجهلة واهل الأهواء والمشركين ومن كان في قلبه طمع او غيره. فمثل هؤلاء تكون استشارتهم خاطئة، فقد سئل الشيخ الحسن البصري عن قول الرسول (ﷺ) :(لا تستضيئوا بنار المشركين)[١٦]! فقال : اي لا تستشيروا اهل الشرك في اموركم ولا تاخذوا برايهم . لأن المشرك عدو للاسلام ويسعى لهدمة بكل الوسائل، لذلك لايمكن لمشرك ان يصدق في راي او مشورة فيها صالح الاسلام والمسلمين.

كذلك لا يستحسن استشارة الشخص الذي يوافقك الراي ويسعى دائما لأرضائك وارضاء مسؤوليه والسلاطين من قبل، وقد جاء عن الأمام الشافعي قوله :((لا يمكن استشارة من كان فاسقا لا علم له بالكتاب والسنة واقاويل الناس والقياس))[١٧]، كذلك لا ينصح اخذ المشورة من الغاش والبخيل والجبان و الجاهل و الحسود[١٨].

وبالنظر لأهمية المشورة والأستشارة في صلاح المجتمع و نجاح القائد في حكمه ماجاء من تاكيد القرآن الكريم والسنة النبوية وحثهما على أخذ المشورة فقد جاء في القرآن الكريم عن صلاح المؤمنين ونجاحهم قوله تعالى: [وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ][١٩]، كذلك فقد امر الله سبحانه نبيه بالقول :[وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ][٢٠]. وقد ورد عن ابي هريرة: ((ما رايت احدا اكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله (ﷺ) [٢١]، وقد جاء عن عن الرسول (ﷺ) قوله :(ما تشاور قوم قط الا هداهم الله لأرشد امورهم)[٢٢].

وفي الواقع التاريخي للمسلمين فان جميع الخلفاء والحكام والسلاطين حتى سقوط بغداد عام (٦٥٦هـ/١٢٥٧م) كانوا يتخذون لهم في مجالسهم المستشارين من رجال العلم والفقه والدين. وكانت الفائدة من تلك المشاورة تتوقف على طبيعة الخليفة والسلطان ومقدار استجابته لمستشاريه مما لسنا بصدد ذكرهم في هذه الدراسة التي سوف تنصب على عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي و تحليل طبيعة مستشاريه مما لم يسبق دراسته من قبل.

ومن خلال استقراء المصادر التأريخية التي اشارت الى السلطان صلاح الدين الأيوبي، والدولة الايوبية، يتبين بوضوح، انه في جميع مسيرته العسكرية والسياسية، يعتمد استشارة مقربيه من العلماء والقضاة، ومن اهل الراي والمشورة من القادة والمقربين، وكانت لتلك المشورة اهميتها في نجاح صلاح الدين، كما ستوضحه تباعا:

لقد كان هناك ترابط قوي بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والعلماء واهل الشورى من الحكماء اى كان في عهد صلاح الدين ترابطا عضويا بين اهل السيف واهل القلم لما فيه مصلحة الامة و خدمة لنصرته ووحدته وقوته[٢٣]. لقد كان السلطان صلاح الدين قبل ان يتخذ قراره بالهجوم على اعدائه، او التخطيط لعملية تعبوية، سياسية او اقتصادية يستدعي مستشاريه واهل الراي من العلماء والشيوخ، فيستشيرهم بموقفه وما ينوي الأقدام عليه، ثم يعتمد رأيهم، ويبدأ بعدها بتحركاته، فكانت جميعا فيها النصرة والعزة، حتى لا يتحمل فيها صلاح الدين نتائج الموقف لوحده، وحتى لا يكون مسؤولا امام الله تعالى فيما يحصل في تلك التحركات من تضحيات مادية و خسائر بشرية، وكي يكون واثقا من قراراته، لأنها انبثقت من موقف جماعي وليس من سلطة فردية!!.

والجدير بالذكر ان وصول صلاح الدين الى كرسي الوزارة في مصر عام(٥٦٤هـ/ ١١٦٩م) من نتائج اعتماده على العلماء و الصلحاء في عصره، فقد كان الفقيه عيسى الهكاري من مقربي صلاح الدين، ولما توفي عمه اسد الدين شيركو، والذي كان متوليا لمنصب الوزارة في مصر، اجتمع قادة الجيش وكبار المسئولين الاداريين، وقرروا ان يختاروا واحدا منهم ليتولى منصب الوزارة بعد اسد الدين شيركو، الا ان الفقيه عيسى الهكاري وما قام به من مشاورات مع اولئك القادة والامراء، تمكن من اقناع الجميع بشخصية صلاح الدين واخذ تايدهم له، وانتهت المشاورات بالاتفاق على اختيار صلاح الدين، وبذلك ثبت دور العلماء والفقهاء في تاييد السلطان صلاح الدين، ومنذ ايامه الاولى من تولى زعامة الدولة الايوبية[٢٤].

فقد كان صلاح الدين يستشير كل من يصل اليه من الثقاه من أهل الصلاح والتقوى والرأي السديد، من أجل الوصول ألى الموقف الصائب، ففي سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) وصل ألى صلاح الدين شيخ الشيوخ صدر الدين أحد مستشاري الخليفة الناصر لدين الله، وقد أرسله الخليفة للسلطان صلاح الدين شفيعا لاهل الموصل، وكان كثير المروءة عظيم الحرمة: ((وكانت مكانته عند السلطان كبيرة بحيث يتردد اليه إذا

كان عنده في معظم الأيام للمشورة))[٢٥]. وكان صلاح الدين يحاوره في كيفية كسب مدينة الموصل ألى جانبه، من أجل وحدة الامة في مقاومة الغزاة.

ومن مستشارى السلطان صلاح الدين المقربين بهاء الدين يوسف بن شداد ت(٦٣٢ هـ/١٢٢٥م)، الموصلي البيئة والذي عرف بحبه الشديد للسلطان، و ميله له بعد معرفته صدق السلطان، ونواياه في محاربة الغزاة الصليبين، وكان ملازما على طول الخط للسلطان، و مرافقا له، وقد جمع له سنة (٥٨٤ هـ/١١٨٨م)كتابا في الجهاد ((جمع فيه أحكامه وآدابه و قدمه بين يديه فاعجبه السلطان و كان يلازم مطالعته ...))[٢٦] ، ص١١٦. ويشير أبن شداد الى ان السلطان كان يستدعيه للحضور في خدمته للمشوره و شرح أحكام الجهاد[٢٧]. مما كان له الاثر الكبير في دفع صلاح الدين للاستمرار بعمليات الجهاد ضد أعدائه.

ومن الامثلة على ذلك ماحصل عند حصار قلعة صفد[٢٨] وكانت منيعة وتقاطعت حولها أودية من سائر جوانبها، فأمر السلطان بنصب خمسة مجانيق حولها، فإنكب العسكر بنصبها في مواضعها التي حددها السلطان حول المدينة منذ بداية الليل حتى قبالة الصباح، ولم يبقى الا تركيب خنازيرها، فأراد السلطان ومن معه الاستراحة قليلا، فتقدم اليه القاضي أبن شداد، واخذ يروي للسلطان الحديث المشهور في الصحاح في قوله (ﷺ):((عينان لا تمسهما النار: عين باتت تحرس في سبيل الله ، وعين بكت في خشية الله))[٢٩] فترك صلاح الدين الاستراحة، و أمر جنده بالاستمرار بالعمل، و ابقى ضرب القلعة متواصلا والحصار مستمرا ، حتى أظطر من بها من الصليبين ألى طلب الامان، وقد ذكر أبن شداد قوله : ((ولم يزل القتال على صفد متواصلا بالنوب مع الصوم، حتى سلمت بالامان في الرابع عشر من شوال من سنة ٥٨٤ هجرية))[٣٠].

وفي عام(٥٨٥ هـ/١١٨٩م) وعند حصار مدينة عكا، أصطدم العسكر الايوبي بالجيش الصليبي حول القلعة، فتكبد جيش صلاح الدين خسائر كبيرة بسبب كثرة الجيش الصليبي وشدة تحصيناته . فاستشار صلاح الدين مستشاريه، وكان بينهم أبن شداد والشهرزوري والاصفهاني وكان الراي بعدم الانسحاب، لان الانسحاب سوف يدفع العدو بملاحقة الجيش الايوبي، وعندها ستكون خسائره أعظم، والامر بألاستمرار بالقتال والصمود بكل الظروف و الاحوال، فأستجاب السلطان صلاح الدين لرأي مستشاريه وأمر السلطان بالصمود والمقاومة و بشكل مستميت، فكان أن أنقلب الامر على

الغزاة، حيث تعب العسكر الصليبي من شدة المقاومة والصمود، فتحولت هزيمة صلاح الدين إلى نصر [٣١].

وبعد الخسائر التي لحقت بالقوات الصليبية في ساحل بلاد الشام، وتحرير العديد من القلاع والمدن وصلت الاخبار إلى صلاح الدين بتقدم العساكر الالمانية الى بلاد الشام، وان ملك الالمان بنفسه يتقدم ثلاث مئة الف مقاتل، اضافة الى ستون الف فارس مدرع.

وكان سماع هذا الخبر صعبا بالنسبة للقوات الاسلامية، لأنه سوف يتحتم عليهم مقاتلة الجيوش الاوربية ببلاد الشام. فاستجمع صلاح الدين مستشاريه للتداول في الخطوات المطلوب إتخاذها وكان منهم الشيخ ضياء الدين بن الشهرزوري والعماد الكاتب وأبن شداد، وكان الرأي باستمرار المقاومة، والارسال الى سائر المدن والامراء المسلمين بطلب النجدة، وأرسال العدة والعدد للمعاضده، وذكر أبو شامه نقلا عن الاصفهاني قوله لصلاح الدين بتقوية عزيمته : ((وإن صح الخبر فالمسلمون يقومون لنا ولا يقعدون ويخضبون لله ولا يرضون أنهم لا يعضدون))[٣٢].

ولما علم السلطان بأجماع مستشاريه على الصمود في سبيل الله، وطلب العون من المسلمين للنصره، أمر بأرسال العيون لاستطلاع أخبار الغزاة، ثم أمر بأرسال المكاتبات ألى كل من يملك القوة والغيرة على الاسلام وبلاد المسلمين، فارسل القاضي بهاءالدين بن شداد إلى بغداد بطلب العون من الخليفة العباسي ((وجعل له إلى كل طرف في طريقه رسالة واودعه اليه مقالة)) [٣٣]، كما أرسل القاضي ضياء الدين الشهرزوري إلى مدينة حلب، ثم أرسل العديد من الرسائل السريعة الى كل الاطراف ذات الاهمية، وجعل على رأس كل مراسله رسول من مستشاريه ومقربيه، ليشرح لامراء المسلمين طبيعة الموقف، ويحثهم على الجهاد في سبيل الله .

وقد أجاب لصلاح الدين كل أمراء المسلمين، بأستثناء الخلافة العباسية التي لم يكن بمقدورها سوى أرسال بعض المساعدات المادية، كالنفط والأموال، فلم تكن قادره على أرسال الجنود، لظروفها الصعبة آنئذ.[٣٤]

ومن الامثلة الاخرى ايضاً على دور المستشارين في عهد السلطان صلاح الدين في معالجة سلبيات المجتمع الداخلية ما اشار إليه المؤرخ أبو شامه في عام (٥٨٦ هـ/١١٩٠م) حين وصلت الاخبار الى صلاح الدين بوجود ((جماعة من الفقهاء يلتقون بجماعة من ارباب السيوف (اي العسكر) ويبسطوا ألسنتهم بالقول غير المعروف وإطاعة

القوى المذهبية باحياء ما أماته الله من اهل حمية الجاهلية ..... من التعصب للمذاهب و ملأ القلوب بالشحناء ...))[٣٥]، فاجتمع السلطان بمستشاريه وتداولوا في الامر، فكان رأي صلاح الدين الوقوف بحزم بوجه الفقهاء الذين يتحدثون أمام العسكر بالمسائل المذهبية، الا ان المستشارين أشاروا عليه بأن الوقت مخصص للجهاد، و أن السلطان بحاجة إلى كل الفقهاء ليعاضدوه في مقاومة الغزاة، وأن الافضل أن يخاطب السلطان اولئك الفقهاء باللين، وأن يكسب ودهم بالمعروف فيدفعهم الى مجانبة الحديث فيما يضعف الجند، وكانت تلك المشورة موفقة، فارسل السلطان اليهم بعض مستشاريه بضرورة المنع في الحديث بالامور الخلافية في زمن الجهاد، وكتب على لسانه الاصفهاني ان الله تعالى:((قد نهى عن المجادله لاهل الخلاف، فكيف لاهل الوفاق ! والمجلس، أعزه الله – أي مجلس صلاح الدين و مستشاريه– يوعز بكف الالسنة الخائفه، وليسع الخلف ما وسع السلف، من الادب وليعلم العبد انه يكتب كتابا الى ربه، فليفكِرَ فيما كتب، والى من كتب))[٣٦].

وهكذا أنتهى الموقف بالسياسة و اللين مع الفقهاء، بدلا من أستخدام العنف والتقريع! فكانت للمشورة أثرها الايجابي في معالجة الموقف، حيث دخل السلطان على الفقهاء بالاسلوب الديني، وقال لهم: إن الانسان في حياته إنما يسطر كتابه الذي سوف يرسل إلى الله تعالى، فعليهم أن يدونوا في كتابهم الامور الايجابية البعيدة عن الخلاف، والبعيدة عما يضر بمصالح المسلمين، والأمة هي في وقت بحاجة إلى وحدة الكلمة والصف من أجل مقاومة الغزاة الصليبيين .

وعندما فكر السلطان صلاح الدين تخريب مدينة عسقلان في ١٩ شعبان من عام (٥٨٧هـ/١١٩١م) خوفا من احتلالها من قبل الغزاة الصليبيين وقتل من بها من المسلمين، كما فعلوا في مدينة عكا[٣٧]، واتخاذها بعد ذلك قلعة للانطلاق منها نحو المدن الأسلامية الأخرى، كان صلاح الدين بين امرين اما ان يترك عسقلان وينسحب والمسلمين من سكانها منها، لما قدر لها، او ان يعمد الى تخريبها حتى لا تكون نقطة انطلاق للغزاة منها نحو توسيع مستعمراتهم، حيث يتخذونها حصنا لهم، يقطعون بها طريق مصر، و يسيطرون من خلالها على مدينة القدس[٣٨]. ولما اراد صلاح الدين ان يتخذ قراره لم يسرع باصدار اوامره وبقي طوال الليل – كما قال مرافقيه– مستيقظا يفكر بالأمر، وكان يستدعي بين فترة واخرى مستشاريه، واهل الراي منهم القاضي الفاضل وابن شداد، ويبدأ معهم

الحديث عن مستقبل مدينة عسقلان، وما هو الأفضل من الخطوات لاتخاذها حتى لا يستفيد العدو منها[٣٩].

وبالرغم من حبه الشديد لتلك المدينة وقوله عنها: ((والله لأن افقد اولادي احب الي من ان اهدم حجرا واحدا منها، ولكن اذا قضى الله بذلك و عينه لحفظ مصلحة المسلمين طريقا، فكيف اصنع !؟))[٤٠] اى ان صلاح الدين كان يحب مدينة عسقلان ولا يريد هدمها، واعتبر ان راي مستشاريه الفضلاء بهدمها خوفا من ان يستفيد عدو المسلمين منها امرا واجبا، لذلك امر بهدمها.

فكان امر الهدم، امرا ليس شخصيا، ولو اصدر امره منفردا بهدمها من دون استشارة اهل الراي في عصره لتحمل وزرها، ولاصبح تخريب المدينة في عهدته الى يوم القيامة !! وقد شاء الله تعالى ان يكون قرار الهدم في صالح المسلمين، إذ لم يتمكن الصليبيون من السيطرة على المدينة والأستقرار فيها، وبذلك باتت خطوط تموينهم بعيدة، ولم يكن لديهم من القلاع الحصينة ما يصد عنهم هجمات قوات صلاح الدين ومناصريه من المسلمين[٤١].

ولو تصفحنا المصادر الأسلامية المعاصرة لصلاح الدين لتبين بشكل واضح، كيف ان صلاح الدين استقطب علماء عصره واغدق عليهم العطاء، وكيف انه كان يقربهم ويطلب مشورتهم في كل خطواته العسكرية والفكرية والأدارية، وخاصة الفقهاء والكتاب واهل الراي ممن ثبت على الصلاح والتقوى.

وكان الفقهاء و علماء الدين آنئذ – كما قال المستشرق هاملتون جب– هم قادة الراي العام[٤٢]، لذلك جعل صلاح الدين اولئك العلماء: ((بمثابة المستشارين للسلطة وصار الأرتباط الوثيق بين السلطة الأيوبية والعلماء مصدر لقوة الدولة في مواجهة الأزمات والمخاطر الداخلية والخارجية، فكانوا خير معين وسند للدولة الأيوبية[٤٣].

لقد احاط صلاح الدين الأيوبي والأمراء الأيوبيون من بعده انفسهم بنخبة من المستشارين من العلماء والمفكرين وكانوا لا يفارقونهم في حل او سفر، وكان اولئك المستشارين يشاركون صلاح الدين في كل تحركاته العسكرية، وكانوا هم الضمانة الأكيدة لأستمرار تاييد الشعب لهم، لأنهم كانوا قادة الشعب الفكري وممثليه والضمانة التي اكدت استمرار المزاوجة بين صاحبي القلم والسيف[٤٤]، لما فيه خدمة مصلحة الدولة الأيوبية وبقاء صمودها بوجه الغزو الأجنبي الذي هدد مصيرها والأسلام معا.

والجدير بالذكر ان اشراك العلماء والقضاة في قيادة الدولة، له دلالات كبيرة على كل المستويات، فهي: دلالة قبل كل شيء على سعة افق الحاكم وبعد نظره، كذلك فهو باب من ابواب رفع الروح المعنوية للمقاتلين في عصر كان هدفه الأول الاستمرار في الجهاد في سبيل الله في مواجهة الغزو الصليبي لبلاد الشام، وهو ضمانة لبقاء عامة الشعب الى جانب السلطة الحاكمة، لأن اولئك العلماء، هم ممثلي الشعب وقادته الفكريين، وان كسبهم الى جانب السلطة يعني كسبا لعموم الشعب الى جانب السلطة!!.

ولقد عرف للسلطان صلاح الدين الأيوبي هذه الحقيقة، وعرف عن صدق قيمة العلماء في عصره، فكان راعيا لأهل العلم متواضعا معهم، وقد احاط نفسه بمجموعة من العلماء ابرزهم الفقيه عيسى الهكاري(٥٨٦هـ/١١٩٠م)[٤٥]، والقاضي محي الدين ابوعلي المعروف بالقاضي الفاضل المتوفي عام(٥٩٦هـ/١١٩٩ م) [٤٦]، والمؤرخ العماد الكاتب الاصفاني المتوفي(٥٩٧هـ/١٢٠٠) [٤٧]، وقاضي العسكر بهاء الدين بن شداد المتوفي (عام٦٣٢هـ/١٣٣٤م) [٤٨] و غيرهم كثير ممن كانوا بمثابة المجلس الأستشاري الذي كان وراء القرارات الحاسمة التي اتخذها صلاح الدين الأيوبي[٤٩].

ومن الأمثلة ألأخرى على مشورة صلاح الدين للعلماء، ما اشار اليه المؤرخون من اعتماد صلاح الدين على الفقيه عيسى الهكاري[٥٠]، الذي رافقه في معظم تحركاته في بلاد الشام في فترة الأعداد لبناء الوحدة وفي فترة مقاومة الغزو الصليبي، فكان الهكاري كما اشار المؤرخ ابن الأثير [٥١] والمؤرخ ابن خلكان[٥٢]، له مشورته المسموعة، حيث عرف عنه ذكائه و حنكته السياسية.

كذلك كان للقاضي الفاضل مكانة خاصة في مجلس صلاح الدين ومن بين مستشاريه والذي كان متوليا لديوان الأنشاء في عهد صلاح الدين[٥٣]، وكان لصاحب هذا الديوان ميزة مرافقة السلطان حيث ذهب، إذ من خلاله يتم كتابة مراسلات السلطان كافة ، وخطاباته للامراء والقادة العسكريين وغيرهم من الأداريين، وقد كان صاحب هذا الديوان (صاحب سرّ) السلطان ومستشاره الشخصي، وكان القاضي الفاضل مشهورا بجودة الأسلوب و حسن الكتابة و سداد الراي، وكذلك كان السلطان صلاح الدين يركن الى رأيه ومشورته[٥٤]، وقد اشار المؤرخ الغساني الى مكانة القاضي الفاضل لدى صلاح الدين بقوله :((كان سلطانه مطاع والسلطان له مطيع)) [٥٥].

لقد قبل القاضي الفاضل في عصر السلطان صلاح الدين: السيف والقلم، وكان صاحب سر السلطان ومن اكابر امرائه ومستشاريه، وقد مدحه السلطان صلاح الدين في احدى مجالسه بقوله:((لا تظنوا انى ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم القاضي الفاضل)) [٥٦]

اما قاضي العسكر الفقيه المؤرخ ابن شداد فكان ايضا من مستشاري صلاح الدين وقد رافقه في الكثير من حملاته العسكرية في بلاد الشام وقد نال منزلة خاصة لدى السلطان[٥٧] لعلو منزلته العلمية، وقد حضر مع السلطان فتح بيت المقدس[٥٨]، وكان له استشارته في المواقف الصعبة، وقد اعتبره السلطان صلاح الدين وكانه من احد اقربائه المقربين، وكان اذا لقيه يضمه الى صدره، ويبش بوجهه غاية البشاشة[٥٩].

كذلك كانت المكانة، للعماد الكاتب الاصفهاني الذي كان يتناوب مع القاضي الفاضل رئاسة ديوان الأنشاء[٦٠]، وكان إمام صلاح الدين في الصلوات، و مستشاره في المشورات[٦١]، وهناك الكثير من العلماء الذين ذكرت اسمائهم في عهد صلاح الدين ممن عرفوا بعلمهم وسعتهم الفكرية[٦٢]، وكانت لهم مواقف ايجابية في خدمة الدولة الأيوبية، وخدمة قضايا عصر صلاح الدين، التي اجتمعت في تحقيق: وحدة بلاد مصر والشام والجزيرة ومقاومة الغزو الصليبي لبلاد الشام ، اضافة الى تحقيق النمو الأقتصادي والعدالة الأجتماعية.

ومن الواضح فان العلماء لا يقدمون احسن ما عندهم من الافكار و السياسات لخدمة الدولة التي ينتمون اليها الا بعد ان يجدوا مِن قائد الدولة التي ينتمون اليها ما يطمأنهم ويقر عيونهم ، وبذلك فان الفضل في انتصار صلاح الدين وقيام سياسته الحكيمة كان معتمدا على حكمة صلاح الدين وسياسته الرشيدة، في استقطاب علماء عصره حوله، واكرامهم، واعطاء الثقة لهم، مما جعلهم يقدمون افضل ما عندهم لخدمة دولة صلاح الدين، فكانت الوحدة وكانت النصرة وكانت الدولة القوية والأدارة الحازمة الناجحة، التي تمكنت من ان تثبت لها قدرا وعزا في عصر عَصَفَ بالفتن والحروب.

وجدير بالذكر ان اولئك العلماء من المستشارين، اصبحت لهم مكانة كبيرة لدى السلطان صلاح الدين، وذلك لصدقهم في تقديم المشورة الجيدة في الوقت المناسب، فضلا عن مصداقيتهم وعلميتهم وما تمتعوا به من سجايا حسنة، الأمر الذي دفع بالسلطان صلاح الدين لأختيارهم سفراؤه وممثليه الى الخلافة العباسية، والسلاطين والأمراء المسلمين

، لأعطاء الصورة الحسنة لصلاح الدين وبيان اسباب تحركاته العسكرية إزاء الامراء الأقليمية و دعاة الانفصال والتواطيء مع الغزاة الصليبيين!!

ففي سنة (٥٧٥ هـ /١١٧٩م) ارسل السلطان صلاح الدين، مستشاره القاضي الشهرزوري الى بغداد لمقابلة الخليفة العباسي المستضيء بامر الله [٦٣] لبيان اسباب تحركات صلاح الدين و تقدمه من مصر الى بلاد الشام، فاتفق وصوله مع وفات الخليفة، و انتقال الخلافة الى الخليفة الناصر لدين الله[٦٤]، فقام بواجبه وحضر الديوان وبايع الخليفة الجديد نيابة عن السلطان صلاح الدين، ومن ثم كاتب السلطان بما حدث، وماقام به مكان السلطان بواجب البيعة والخطبة باسم الخليفة الجديد[٦٥].

وفي سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥ م) ارسل السلطان صلاح الدين مستشاره، القاضي ضياء الدين الشهرزوري[٦٦] الى بغداد، وحمل معه رسالة لأبلاغ الخليفة بان تحركاته ضد امراء الموصل والجزيرة كانت لخدمة مصالح المسلمين، والخلافة العباسية، وانه لم يتوجه لحصار الموصل طمعا في توسيع ملكه، وانما لمعاقبتهم لاتصالهم بملك الأعاجم ومراسلتهم لبعض امراء الجزيرة واربل للخروج عن الطاعة ومخالفة دار الخلافة[٦٧].

ويبدوا ان القاضي الشهرزوري كان من بين المستشارين الجيدين للسلطان صلاح الدين، وان استخدامه كسفير له في عدة مناسبات، متباينة الأهداف، والظروف، فضلا عن اختلاف المناطق التي ارسل اليها يدلل على ذلك، وكان السلطان يستشيره في كثير من المواقف التي يحتاج فيها السلطان الى اصدار اوامره العسكرية او السياسية، حتى تكون تلك الأوامر في مجال الواقعية والتنفيذ[٦٨].

واضافة الى القاضي الشهرزوري، فقد اعتمد السلطان صلاح الدين في الأستشارة على القاضي ابن شداد [٦٩] والعماد الاصفهاني[٧٠]، وكان يستشيرهم في كل الخطواط المهمة التي تحتاج الى استصدار امر مهم، فيه مصالح الرعية ومستقبل الأمة والدولة، وتذكر المصادر التاريخية ان السلطان صلاح الدين لم يستغنِ عن خدمات ابن شداد، وكان يناقشه حتى اواخر ايامه، ومنها مشاورته في عقد الصلح مع الصليبيين(٥٨٣هـ / ١١٩٢م) [٧١].

ومما اكدت عليه المصادر الأسلامية ان السلطان صلاح الدين اعتمد الأستشارة، ومناقشة كل مايطرأ على دولته من امور عسكرية و سياسية من علماء عصره ومستشاريه واهل الخبرة والراي، وانه اعتبر ذلك واجبا واساسا من اساسيات الحكم، كي لا يتحمل امام

الله تعالى وشعبه والتاريخ، ما يحدث في مستقبل الايام، ولذلك كان مجلس استشارته منعقدا طيلة ايام الحرب، وفي فترة ألأعداد لمقاومة الغزو الصليبي . وفي هذا دليل: على اتساع آفاق السلطان صلاح الدين وتفضيله لمصلحة الأمة الأسلامية على مصلحته الشخصية، وعدم رغبته في ألأنفراد برايه حتى انه كان يرضخ في كثير من الأحيان لمجلس حربه(٧٢).

وقد استمر العلماء من مستشاري السلطان صلاح الدين في دورهم القيادي في الدولة الايوبية بعد وفاة صلاح الدين، ولم ينقطعوا عن العطاء، واستمروا في مساندة اولاده وتقديم المشورة لهم، وكان لهم دور واضح في تجاوز العديد من العقبات التي اعترضت الأمراء الأيوبيون خاصة القاضي ابن شداد و الشيخ ضياء الدين ابن الأثير(٧٣).

هكذا اذاً، كان من اسباب نجاحات صلاح الدين وتحقيق انتصاراته على المستوى السياسي والعسكري والاداري، انه لم يكن يحكم بمفرده، ولم يتخذ القرارات من نفسه ويعتمد هواه ورايه، وانما كان له في كل الأمور مجلس شورى، ومجلس حرب يستشيرهم، وكانوا في كل الأختصاصات من العلماء، من ذوي الراي السديد، والخبرة من القضاة والمؤرخين والكتاب واهل السياسة والحرب، والذين كانت لآرائهم الأهمية الكبيرة في نجاح صلاح الدين، وثبات دولته، وانتصاراته على عدوه، وهي سنة نبوية مؤكدة، اشار اليها القرآن الكريم في أكثر من موضع، واكد فيها سبحانه وتعالى على دور العلماء ومكانتهم في الأستشارة، وخاصة العلماء منهم، لأن الله تعالى قد رفعهم درجات عن باقي العوام من المسلمين قال تعالى: [يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ](٧٤) ، وقال تعالى: [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ](٧٥) وقال تعالى: [فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ](٧٦) ولذلك فان القادة الناجحون على مدى التاريخ تستبان قوتهم من قوة مستشاريهم و صلاحهم وعلميتهم ومن الله التوفيق.

الهوامش:

١. للمزيد عن السلطان صلاح الدين: ينظر: ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ص٢٠-٧٠، ابوشامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج١،ص ص٨٥-١٢٠، ابن واصل: مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج٢ص ص٤٥،٩٦،١١٥،١٢٧).

٢. الراوندية أو الروادية(٣٤٣-٤٦٣هـ/ ٩٥٤-١٠٧٠م) قبيلة كردية وبطن من الهذبانية امراء تبريز ومراغة (آذربيجان)، اسسوا في تبريز امارة اشتهرت بالروادية لحين ظهور السلاجقة والغز في إيران وسيطرتهم على مقاليد الخلافة ببغداد.(ابن الاثير: الكامل، ج١١، ص٣٤١.

٣. أسد الدين شيركو بن شاذي بن مروان(٥٠٠-٥٦٧هـ/١١٠٦-١١٧١م) ، الملقب بالملك المنصور، وهو أخ نجم الدين أيوب وعم صلاح الدين الايوبي، كان من كبار القواد في جيش نور الدين (محمود بن زنكي) بدمشق، وأرسله نور الدين على رأس جيش كبير الى مصر لنجدة شاور بن مجير السعدي الوزير الفاطمي في مصر.الذهبي:تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،ج٢١، ص ص٢٧٨-٢٩٧ .

٤. ابو حيان التوحيدي، علي بن محمد العباس: البصائر والذخائر،(دمشق، د-ت) ، ج٢، ص٦٨٣.

٥. ينظر : الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب: نصيحة الملوك، ، (بغداد : ١٩٨٦)، ص٥٤.

٦. الوطواط ،أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي : غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، (بيروت: د.ت) ص٩٤.

٧. البستي ، أبي حاتم محمد بن حبان ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة و زميله (بيروت:١٩٧٥)، ص٩٣.

٨. ابو الحسن الماوردي، ادب الدين، (بيروت :١٩٥٥)، ص٧٣.

٩. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر : تفسير القرطبي، ج٤ ، ص٢٥١.

١٠. سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

١١. محمود شاكر: التاريخ الأسلامي، (بيروت:١٤٢١هـ/٢٠٠٠)، ج٣، ص ص ٢٤٧، ٢٥٧

١٢. ينظر المرجع السابق، محمود شاكر ، ج٤، ص ص ٧٥-٢٧١

١٣. ينظر المرجع السابق، محمود شاكر ، ج٥، ص ص ٦٥-٢١٣

١٤. القرطبي، ابن عبد البر:بهجة المجالس وأنس المجالس.. ثم،(القاهرة : ١٩٨١م):ج١، ص٤٥٧.

١٥. الماوردي : ادب القاضي، (بغداد :١٩٧١) ن ص٢٦٣

١٦. القرطبي : بهجة المجالس ، ج١،ص٤٥١.

١٧. سورة الشورى : الآية (٣٨).

١٨. سورة آل عمران: الآية (٥٩).

١٩. الترمذي،محمد بن عيسى أبو عيسى:الجامع الصحيح،سنن الترمذي،(القاهرة:١٩٦٧)، ج٦،ص٣٥.

٢٠. القرطبي: بهجة المجالس، ص٤٤٩.

٢١. أبو شامة، الروضتين، (ج٤، ص١١٨، للمزيد عن عصر صلاح الدين ألأيوبي، ينظر : دريد عبدالقادر نوري ، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر و الشام والجزيرة، ١١٧٤-١١٩٣ م، (بغدا:١٩٧٦)، ص ص٢٥-١٢٦.

٢٢. ابن الأثير، عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الجزري: الكامل في التاريخ : ج١١،ص٧٥، دريد عبدالقادر نوري: سياسة صلاح الدين، ص٨٥.

٢٣. ينظر : حيدر لشكري : الكرد في المعرفة التاريخية الأسلامية،(دهوك: ٢٠٠٤) ص ٢٠٠.

٢٤. ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، (بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م): ج٢،ص٩١.

٢٥. ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة :١٩٥٧)، ج٦، ص٤٦.

٢٦. ينظر: ابن الاثير: الكامل في التاريخ ن ج١٢،ص ص٧١-٧٢.

٢٧. ابن شداد، عزالدين محمد بن علي بن ابراهيم: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، (دمشق: ١٩٧٩)، ص١٨٦.

٢٨. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٤٦.

٢٩. دراسات في حضارة الأسلام، (القاهرة :١٩٧٤)، ص١٣٥.

٣٠. الأتروشي، شوكت عارف ، الحياة الحضارية في مصر خلال العصر الأيوبين رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صلاح الدين اربيل، كلية الاداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٤، ص٤٣.

٣١. ينظر : ابن خلدون، ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن، المقدمة (بيروت :١٩٨٨) ، ص٢٠٣، الشيزري، عبد الرحمن بن نصر : نهج السلوك فى سياسة الملوك (الأردن :١٩٨٧) ص١١٨.

٣٢. ابن كثير، ابي الفداء الحافظ: البداية و النهاية، (د،ط، د، ت).،ج ١٢، ص ص ٣٢٦-٣٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٥،ص١٠٥.

٣٣. ينظر:ابن كثيير:البداية والنهاية ج١٢،ص ص ٥٥-٣٣٨. ابوشامة:الروضتين،ص ص٥٩-٤٥.

٣٤. العماد الكاتب الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج : الفتح القسي في الفتح القدسيّ، (بيروت:2004)، ج٦، ص١٢ ، البنداري ،الفتح بن علي: سنا البرق الشامي، (مصر، 1979م) ، ص٧٥، ابن واصل ،جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، ج٣،ص٢٣٩ ، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج: المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ((بيروت:١٩٩٥))، ج٩، ص١٧٦.

٣٥. ابن واصل مفرج الكروب ، ج٣، ص ص ٣-١٠ ؛المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك،(بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١،ص٧٤؛ابن شداد:النوادر السلطانية، ص٢١٤.

٣٦. انظر : سلطان جبر سلطان : الدور السياسي للعلماء المسلمين ابان الحروب الصليبية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٩، ص ٤٤.

٣٧. ينظر،ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١،ص٥١١.

٣٨. ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد: وفيات الأعيان ، (بيروت، ١٩٦٨م)، ج٣، ص٤٩٧.

٣٩. عيسى بن محمد بن عيسى الأمير ضياء الدين الهكاري الفقيه، كان أحد الأمراء بالدولة الصلاحية كبير القدر وافر الحرمة معولا عليه في الآراء والمشورات وكان في مبدأ أمره يشتغل في الفقه، تفقه بالجزيرة، ثم ذهب الى مدينة حلب فاتصل بالأمير أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح وصار إمامه يصلي به

الفرائض الخمس ولما توجه أسد الدين إلى الديار المصرية وتولى الوزارة كان في صحبته ولما توفي أسد الدين عمل الفقيه عيسى على تثبيت السلطان صلاح الدين موضعه في الوزارة، فلما تولى صلاح الدين رأى له ذلك واعتمد عليه ولم يكن يخرج عن رأيه وكان كثير الإدلال عليه يخاطبه بما لا يقدر عليه غيره من الكلام وكان واسطة خير للناس نفع بجاهه خلقا كثيرا ولم يزل على مكانته وتوفر حرمته توفي في سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م (ابن الأثير: الباهر في التاريخ، ص ص ١٢٠، ١١٩، ١٣٢، ١٣٧. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٤٠).

للمزيد عن ديوان الأنشاء ينظر: المقريزي، الخطط (القاهرة ، ١٩٩٨ م)، ج٢٠،ص٢٤٣.

٤٠. الساعي ،علي بن انجب : الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير، (دمشق، د ،ت) تحقيق مصطفى جواد، (بغداد: ١٩٣٤) ،ج٢، ص٢٩.

٤١. الغسّاني، الملك الأشرف إسماعيل بن العباس (ت:٨٠٣هـ/) العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، السلوك ج١، ص٢٣٨.

٤٢. ابن الأثير : الكامل:ج١٢،ص٢٤.

٤٣. ينظر: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود: المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)، ج٢، ص٢٥٧.

٤٤. ابو الفداء: المصدر نفسه، ج٢، ص٥٧.

٤٥. ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٢٤٢.

٤٦. اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، (بيروت: ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م)، ج٣،ص٤٩٣.

٤٧. الأصفهاني، الفتح القسي، ص٣٤٦.

٤٨. ينظر : الأتروشي، ص ص ٥٠-٥١.

٤٩. هو الخليفة أبو محمد الحسن ابن المستنجد بالله يوسف ابن المقتفي محمد ابن المستظهر الهاشمي العباسي بويع بالخلافة وقت موت أبيه في سنة(566هـ/١١٨٩م) ، وفي خلافته زالت الدولة الفاطمية بمصر وخطب له بها، وخطب له باليمن، وبرقة، إلى بلاد الترك ودانت له الملوك ينظر : الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي: مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، (بغداد، ١٩٦٩م)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١،ص ص ٦٨-٧٠.

٥٠. كان الخليفة أبي العباس أحمد بن المستضيء (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٩٣-١١٢٦م) من خلفاء بني العباس المتأخرين، ابن كثير: البداية ، ج١٢،ص٣٠٤، ويقال: ((كان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم خرب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد))، أبو الفداء:المختصر، ج٢،ص٤١٧.

٥١. قوام الدين أبو الفتح محمد بن حامد البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق رمضان ششن، بيروت، ١٩٧٠، سنا البرق الشامي ، ق/١، ص٣٤٢، وانظر: لولاف مصطفى الأتروشي، القضاء في مصر والشام في العصر الأيوبي(الأردن :٢٠٠٧) ، ص٢٦٤.

٥٢. القاضي الشهرزوري : هو القاسم بن يحيى بن القاسم، ولد ونشأ بدمشق ، وكانت لديه فضائل، تفقه ببغداد بالنظامية مدة، ثم اصبح سفيرا بين صلاح الدين وبين الخليفة في بغداد، ثم سار إلى بغداد

فأكرمه الخليفة وخلع عليه، وولاه قضاء القضاة والمدارس والأوقاف والحكم في المذاهب الأربعة، توفي في(٥٩٩هـ/)، (البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٩٥ ج١٣، ص٣٥، الصفدي، صلاح الدين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك، (ت٧٦٤هـ/١١٨٣م) : الوافي في الوفيات، (بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٤٣٢.

٥٣. ابو شامة ، الروضتين: ٩٢/٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب :١٦٦/٢ ن درويش يوسف حسن ، الأسرة الشهرزورية، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة صلاح الدين :١٩٩٨)، ص٨٧.

٥٤. الأتروشي ، القضاء ،ص٢٦٩.

٥٥. (632 – 539هـ / ١١٤٥ – ١٢٣٤ م) مؤرخ، من كبار القضاة، تفقه بالموصل، ثم ببغداد، وسافر إلى حلب، ودمشق، ومنذ سنة(٥٨٤هـ/١١٨٩م) كان من اقرب المقربين الى السلطان صلاح الدين، وشهد معه اكثر الوقائع التي شهدها منذئذ، كما اطلع على اكثر مايجري في بلاطه.ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، ج٧ ص٥٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٢،ص٢٣٣.

٥٦. محمد بن صفي الدين الملقب بـ (عماد الدين الأصفهاني) (٥١٩ – ٥٩٧ هـ/١١٢٥ – ١٢٠١م) مؤرخ وأديب وشاعر عاصر الدولة النورية والأيوبية ودون أحداثهما، وعين فى ديوان الإنشا كمساعد للقاضى الفاضل في عهد صلاح الدين، و من وقتها لازمه فى حله وترحاله، و ضل على هذا الحال الى ان توفى صلاح الدين، عندها انشغل فى تصنيف الكتب لغاية وفاته في دمشق.

٥٧. ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب ج٢،ص٤٠٥، ابو شامة، الروضتين، ٢٠٤/٢، ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم: تاريخ ابن الفرات، (بيروت:1936 م)، ج٢، ص٨٥.

٥٨. الأتروشي: القضاء ، ص٢٨٠.

٥٩. عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي، (٥٥٥ – ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ – ١٢٣٣ م) (المعروف بـ(ابن الأثير الجزري)، مؤرخ إسلامي كبير، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي، ورصد أحداثها ويعد كتابه الكامل في التاريخ مرجعا لتلك الفترة من التاريخ الإسلامي. الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج١،ص ص٤٧ – ٣٣٩.

٦٠. سورة المجادلة: الآية (١١).

٦١. سورة الزمر : الآية (٩).

٦٢. سورة الأنبياء : الآية (٧).

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

١. ابن الاثير : عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الجزري (ت ٦٣٠ هـ /١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

٢. الأتروشي، شوكت عارف : الحياة الحضارية في مصر خلال العصر الأيوبين رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صلاح الدين اربيل، كلية الاداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٤.

٣. الأصفهاني، العماد أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج، (٥٨٣ هـ/١١٨٧ م) : الفتح القسي في الفتح القدسيّ، دار المنار، بيروت، ٢٠٠٤.

٤. البستي، أبي حاتم محمد بن حبان ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة و زميله (بيروت:١٩٧٥)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٣.

٥. البنداري ،الفتح بن علي، (ت583 هـ/١١٨٧م): سنا البرق الشامي تحقيق :د. فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي(مصر: 1979 م).

٦. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى: الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،١٩٦٧م، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

٧. ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة :١٩٥٧).

٨. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج(م٥٨٣ هـ/١١٨٧ م): المنتظم في تاريخ الملوك والامم، حققه وقدم له سهيل الزكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت:١٩٩٥).

٩. جب ،هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة د.إحسان عباس، ود. محمد يوسف، ود. محمود زايد، وتقديم د.حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة :١٩٧٤).

١٠. أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد العباس(ت: (ت:٤١٤هـ/١٠٢٣م)) : البصائر والذخائر، تحقيق : د. وداد القاضي، دار صادر – بيروت / لبنان – ١٤١٩هـ – ٩٩٩ م ، الطبعة : الرابعة.

١١. حيدر لشكري:الكرد في المعرفة التاريخية الأسلامية،دار سبيريز للطباعة والنشر،(دهوك: ٢٠٠٤).

١٢. ابن خلدون، ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن، المقدمة،(٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، ط٤،دار احياء التراث العربي، (بيروت :١٩٨٨) .

١٣. ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر، (٦٨١هـ/ ١٢٨٢ م)

١٤. وفيات الأعيان ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨م.

١٥. دريد عبدالقادر نوري: سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، ١١٧٤–١١٩٣م، مطبعة الإرشاد، (بغدا:١٩٧٦).

١٦. سلطان جبر سلطان : الدور السياسي للعلماء المسلمين ابان الحروب الصليبية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٩،

١٧. الساعي ،علي بن انجب(٦٧٤هـ/١٢٧٥م) : الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير، (دمشق، د ،ت).

١٨. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665 هـ/١٢٦٦م): ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤٢٢ هـ–٢٠٠٢م)

١٩. ابن شداد: عزالدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام و الجزيرة –قسم الجزيرة– تحقيق يحي عمارة منشورات وزارة الثقافة و السياحة و الارشاد القومي، دمشق ١٩٧٨.

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية – تحقيق، محمد درويش، وزارة الثقافة و السياحة و الارشاد القومي،(دمشق: ١٩٧٩).

٢٠. الشيرزي، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩ هـ/١١٩٣م): نهج السلوك فى سياسة الملوك، تحقيق: محمد أحمد دمج، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع،(الأردن :١٩٨٧).

٢١. الصفدي، صلاح الدين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك، (ت٧٦٤هـ/١١٣٦م) : الوافي في الوفيات، ببيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الكتاب العربي، برلين، الشركة المتحدة، بيروت.

٢٢. الوطواط، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط(ت٧١٨هـ/١٣١٨م)، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، جامعة طيبة في المدينة المنورة السعودية.

٢٣. ابن واصل ،جمال الدين محمد بن سالم، (٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب تحقيق : د / جمال الدين الشيال ١٩٦٠ م، دار الفكر العربى للطباعة والنشر، بيروت:لبنان

٢٤. الغسّاني، الملك الأشرف إسماعيل بن العباس (ت:٨٠٣هـ/١٤٠٠م) العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، الناشر: دار البيان – بغداد / دار التراث الإسلامي، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٢٥. الخزرجي ، أبو الحسن موفق الدين(٨١٢ هـ/١٤٠٩م): العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ،(بيروت :١٩٧٥).

٢٦. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود ، (٧٣٢ هـ /١٣٣١ م) : المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء).

٢٧. –ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم،(٨٠٧هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن الفرات. تحقيق : قسطنطين زريق المطبعة الامريكانية – بيروت، 1936 م.

٢٨. القرطبي، ابن عبدالر، (463هـ/ ١٠٧١م): بهجة المجالس وأنس المجالس. تحقيق: د. محمد مرسي الخولي ، (القاهرة، ١٩٨١م).

٢٩. ابن كثير: ابي الفداء الحافظ (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية و النهاية، دار الفكر، د،ط، د، ت.

٣٠. الكارزوني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي(١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد و سالم الالوسي، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٦٩م

٣١. الماوردي، ابوالحسن علي بن محمد بن حبيب(ت ٤٥هـ/١٠٥٨م): نصيحة الملوك، تحقيق محمد

الحديثي، جاسم ، (بغداد : ١٩٨٦)، ، ادب الدين والدنيا، تحقيق مصطفى السقا، اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والبحث العلمي، (بيروت :١٩٥٥).

٣٢. الماوردي: أدب القاضي، تحقيق : محي هلال السرحان، الطبعة الأولى، الناشر : مطبعة الإرشاد – بغداد، طبعة مصورة. (١٣٩١ هـ/١٩٧١م).

٣٣. المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر(٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.
المقريزي: الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ، تحقيق : محمد زينهم – مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٨ م القاهرة.

٣٤. أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل ، (٧٣٢هـ / ١٢٧٣م): المختصر في أخبار البشر، طبع بمصر، (القاهرة، د. ت)،

٣٥. محمود شاكر: التاريخ الأسلامي،ج٣-٤-٥،ط٨،المكتب الاسلامي، (بيروت:١٤٢١هـ/٢٠٠٠).

٣٦. اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (768 هـ/١٣٦٦م)(:مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (: ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م).

Abstract

There are many examples of ancient and modern history of heads of state and leaders, who have valid group of advisers, to benefit from them in access to the fact, (including internal and external, etc..)، pursued to correct opinion and on the basis of which issued right decisions, their country blessing stability and progress, the Salahaddin (567_589A.H/ _1160 1174 A.D) was one of those leaders who had been consulting trusted scholar in his era, the advice to them is one of the most important factors of his victories.

Salahaddin s victory over the invaders crusade, and then he returning Egypt to the embrace of the Abbasid Empire after it was ruled by the Fatimid, were and other a lot, but the fruits of those consultations. For example, the choice between the destruction of the city of Ashkelon in the year (597A.H/1184A.D) for fear of its occupation by crusade, and taking a base, from which to attack Muslims, or keep them consulted his advisers, he considered sabotaging it, and he did it despite his love of that city, and it was the right decision.

The most prominent advisors Isa Alhakari ,Qazi al-Fadil, Qazi Thiaaddin alshahrazori and others. .

The reasons for the success of the Salahaddin at the political level, military rules and regulations, is that he did not take the decisions of himself, but he had to consult by advisors. Consultation is the most important guarantees of succee for leaders in the past, the present and the future.